

الطرائق النبوية التعليمية وطرائق التعليم في القرن 21

ليلى بنت ناصر الزرعة¹

الملخص: يتناول هذا البحث دلالات الطرائق التدريسية من السنة الشريفة وذلك سعياً إلى تأصيلها من الأحاديث النبوية الشريفة. استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي التأملي في تتبع أحاديث الرسول المعلم ﷺ التي وردت فيها دلالة وإشارة على طرائق التعليم والتعلم. ومن النتائج التي توصلت إليها الباحثة أن طرائق القرن الحادي والعشرين قد أرسيت أصولها من قبل 1400 سنة على يد النبي المعلم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأجمل التسليم، كذلك بينت هذه الدراسة تكامل الطرائق المحمدية وتداخلها في الموقف الواحد. أوصت الباحثة بضرورة إجراء المزيد من الدراسات في السيرة النبوية والاستفادة من هذا المعنى النقيّ الفيض.

الكلمات المفتاحية: طرائق التدريس. الصفات النبوية. التعلم التعاوني. القبعات الست.

Prophetic and educational methods in the 21st century

Layla Nasser Al-Zarah

Abstract: This research deals with the semantics of teaching methods from the sunnah to root them from the hadiths of the prophet. The researcher used the inductive analytical and contemplative approach to follow the hadiths of the Prophet, in which there was an indication and references of the teaching and learning methods. Among the results reached by the researcher is that the methods of the twenty-first century have been established originally 1400 years ago by the Prophet Muhammad Muhammed bin Abdullah, peace be upon him, also this study showed the complementarity of Muhammadiyah methods and their overlapping in one situation. The researcher recommended the necessity of conducting more studies in the prophetic biography and to benefit from this pure, overflowing spring.

Keywords: Teaching methods. Prophetic attributes. Collaborative learning. Six hats.

¹ قسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة الملك فيصل، lalzarah@kfu.edu.sa

المبحث الأول: الإطار العام للبحث**أولاً: المقدمة**

إن قيام الأمم وازدهارها مرتبط بمدى جودة التعليم. وتكمن تلك الجودة في الثوابت والأسس التي يرتكز عليها نظام التعليم والمصدر التي تنبثق منه. وتشمل المنظومة التعليمية عناصر منها المناهج وطرائق التدريس والتي تخضع بشكل مستمر لعمليات تقويمية من تحسين وتطوير وتجديد وأحياناً إلى إلغاء جملة وتفصيلاً؛ والسبب في ذلك كون هذه المناهج والطرائق وضعية من قبل بشر يعترهم ما يعترهم من الخطأ والصواب وضيق النظرة ومحدودية القدرة فلا تحقق الكمال المنشود والتناغم المطلوب مع متطلبات العصر الحديث والحراك العلمي المتسارع. يقابل ذلك نرى أن المنهج النبوي لا يتقدم مع مر العصور وتعاقب الأزمان وإنما هو منهج يزيد وضوحاً وتبيناً وقدرة على التماشي مع متطلبات كل العصور مع حدائتها مقابل ما كان عليه العهد النبوي من بساطة، فنجد أن الرسول قد أعطانا خلال سيرته العطرة أنموذجاً حياً ومثلاً واضحاً مفصلاً تفصيلاً لما ينبغي أن يكون عليه النظام التعليمي، وطريقة تطبيقه بكل يسر وسهولة. من هنا جاءت الضرورة إلى الوقوف على المنهج النبوي في التعليم والذي يعتبر مصدرًا من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، فتجلت أهمية الدراسة في بيان استمرارية تجدد الطرائق النبوية المتبعة في التعليم مع توالي وتقدم الدهور، ومدى استيعاب السيرة النبوية لطرائق التعليم والتعلم الحديثة وتنوعها.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الهدفين التاليين:

- 1- إيضاح صفات الأساليب التعليمية النبوية وتداخلها.
 - 2- بيان استيعاب السيرة النبوية في التعليم والتوجيه لطرائق التعليم والتعلم الحديثة وتنوعها.
- وتكمن إشكالية الدراسة في السؤالين التاليين:
- 1- ما صفات الأساليب التعليمية النبوية ومدى ارتباط بعضها البعض؟
 - 2- ما مدى استيعاب السيرة النبوية في التعليم والتوجيه لطرائق التعليم والتعلم الحديثة ومدى تنوعها؟

منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي من حيث استقراء الأحاديث النبوية التي وردت فيها دلالة وإشارة على طرائق التعليم والتعلم بالإضافة إلى المواقف النبوية، فقامت الباحثة بتحليل المواقف والأحاديث وتصنيفها ومناقشتها وربط الطرائق التدريسية الحديثة بها وأساليب التعليم والتعلم في الميدان التربوي.

المبحث الثاني: الدراسات السابقة:

دراسة حسين (2018) هدفت الدراسة إلى الوقوف على الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول ﷺ موظفًا المنهج التحليلي، وأوضحت الدراسة مجموعة من الوسائل التعليمية؛ كالرسم واستخدام الإشارة باليد والأصابع كذلك استخدام الأشياء المحسوسة والتطبيق العملي.

دراسة الصعدي (2009) هدفت الدراسة إلى مساعدة صناع القرار التربوي على تبني التطبيق الفعلي للأساليب النبوية في عملية التوجيه والإرشاد لتعديل السلوك لدى المرحلة الثانوية بنين من خلال التعرف على الأساليب المحمدية في إرشاد السلوك وتقويمه في تربيته لأصحابه. وانتهجت الدراسة المنهج الوصفي الاستنباطي. كان من نتائج الدراسة مساهمة الأساليب النبوية في تنمية الجانب النفسي لشخصية الطلاب في المرحلة الثانوية.

دراسة دبابش (2008) والتي هدفت إلى التعرف على الأسس والمبادئ والأساليب التربوية التي نهجها الرسول ﷺ في تربيته لأصحابه من خلال سيرته النبوية. واستخدم المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى النتائج والتي كان من ضمنها: أن السيرة النبوية احتوت أسسًا عقائدية وأخلاقية وعلمية

وجهادية استند عليها الرسول ﷺ في تربيته لأصحابه، كذلك أن السيرة النبوية ثرية بالمبادئ والأساليب التربوية التي تميزت بالتنوع والشمول والمرونة والتكامل والتي جعلتها صالحة لكل زمان ومكان. وأوصت الدراسة بالاستفادة من السيرة النبوية لإيجاد الحلول لبعض المشكلات التعليمية التربوية التي تواجه معلمي هذا العصر الحديث.

دراسة العطار (2007) هدفت الدراسة إلى الوقوف على الطرائق النبوية التعليمية ومدى علاقتها بالطرائق الحديثة. سلكت الدراسة المنهج التحليلي التأملي في السيرة النبوية. وتوصلت الدراسة إلى أن سير الرسول ﷺ غنية بطرائق التعليم المختلفة والتي تعتبر جذورًا لبعض الطرائق المعاصرة. دراسة فارس (2007) هدفت الدراسة إلى التعرف على بعض صفات عظمة الرسول ﷺ وأوضحت عددًا من الأساليب التربوية كالقدوة والتربية بالموعظة والملاحظة والعقوبة. انتهج الباحث المنهج الوصفي التحليلي. وخلصت الدراسة إلى أن المنهج الإسلامي في التربية منهج تكاملي لجميع مناحي الحياة يجب على المربين الأخذ به.

دراسة الزبون (2007) هدفت الدراسة إلى استنباط الدلائل التربوية لطريقة الحوار النبوي مع إيضاح أهدافه وأنواعه وأهم القيم التربوية التي استند إليها الحوار النبوي. وظف المنهج الوصفي التحليلي. وبينت الدراسة أهم أنواع الحوار التربوي في السيرة كالحوار الخطابي التذكيري والحوار الوصفي القصصي والجدلي. وبينت وجود كثير من القيم التي حوت الحوار النبوي بالرفق والصبر والتيسير. دراسة أبو داف (2006) هدفت الدراسة إلى الوقوف على المنهج النبوي في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في وقتنا المعاصر من خلال تتبع الأحداث المرتبطة بالموضوع واستخدمت الدراسة المنهج الكيفي التحليلي للمحتوى. وبينت الدراسة نواحي الإعجاز التربوي الذي سلكه الرسول ﷺ في تقويم السلوك والذي امتاز بالشمولية والتنوع ومراعاة الفروق الفردية. وأوصت الدراسة بتوظيف المنهج النبوي في التعليم المعاصر.

دراسة الضرمان (2006) هدفت الدراسة إلى التعرف على المنهج النبوي في التعامل مع الناشئة وفق منهج القدوة الحسنة. انتهجت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وتوصلت إلى ضرورة التعامل مع الناشئة بالأخلاق الفاضلة والقدوة الحسنة لكسب محبة الناشئة لمعلمهم والذي له دور مؤثر في إقبال الناشئة على العلم وقبوله والإنصات إلى معلمهم.

دراسة الدحيم (2005) والتي هدفت إلى استظهار بعض الأساليب المحمدية في التعليم والتربية لأصحابه من خلال التأمل للمواقف النبوية في الهدى المحمدي وبيان أثرها في تربية النفس البشرية على المنهج الإيماني السليم.

التعليق على الدراسات السابقة

اتصفت الدراسات السابقة في تناولها للطرائق النبوية بمحدودية العرض، بينما تميزت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة باستعراض معظم الطرائق النبوية وربطها بالطرائق الحديثة. كذلك ما يميز الدراسة عرض طرائق لم تنطرق لها الدراسات السابقة كالعقوبات الست وحل المشكلات ودراسة الحالة والمنافسة وتمثيل الأدوار والتعليم الثنائي.

المبحث الثالث: صفات الأساليب النبوية التعليمية

اتسمت الأساليب النبوية بكثير من الصفات لخصتها الباحثة بالصفات السداسية التالية: الشمولية والتنوع، الفورية والمعيارية، التلاؤمية والاستمرارية. وقد أضفت هذه الصفات الصبغة الإعجازية في الهدى النبوي لما تضمنته من معانٍ يصعب أن يحتويها أي نظام أو منهج أو سياسة من سياسات العالم. وكذلك سنلحظ سمة في غاية العجب في صفات الأساليب التعليمية أنها متداخلة ومتراصة فيما بينها ولا نستطيع الفصل على مستوى الصفات ذاتها فهي متداخلة بشكل تراص وتكاملي، بل ما يزيد العجب أنها تكون في الأغلب مجتمعة ومتواجدة في كل موقف تعليمي كما سنرى.

الشمولية والتنوع:

نلاحظ أن أساليب الرسول عليه السلام اتسمت بالشمولية واستيعابها لجوانب الحياة جُلها ودقها من اقتصادية وسياسية اجتماعية ودينية تعبدية، وجميع المجالات الحياتية من تعاملات. فأساليبه ﷺ بمثابة مدرسة تربوية تعليمية متميزة بميزة الشمولية التي لن نجد لها في أي منهج من مناهج الدنيا وسياسات العالم، ونعتناها بأنها صفة مميزة لسبب أنه من الصعب الاتصاف بالشمولية لجميع مناحي الحياة والدليل الموضح لذلك ما نراه من تعدد التخصصات. فمهما بلغنا من العلم إلا أننا نظل عاجزين على الاتصاف بالاحتوائية لكل العلوم والمعارف، بل نلاحظ أن عامل التخصصية يزداد كلما تعمقنا في العلم. لذلك نرى أن الرسول ﷺ تعدى محدودية النمو الشامل للفرد كما تنادي به النظريات الحديثة إلى التعامل الشامل لجميع ما يتعامل معه ذلك الفرد. (الوكيل والمفتي، 2016)

الفورية:

والمقصود بها المسارعة في الاستفادة من الموقف، من الحدث الحالي وتوظيفه، ردود فعل سريعة ولكنها مدرسة بعيدة عن العشوائية أو الارتجالية. كان رسول الله ﷺ في فوريته في التعامل مع المواقف يعمل على توظيفها لأغراض تخدم الدين الإسلامي. فكان ﷺ يقتنص الفرص ويستفيد من الموقف لمصلحة نشر الإسلام وتعاليمه وآدابه فكان إما يتعامل مع الموقف لغرس سلوك أو لتقويمه. فوريته ﷺ تنبئ ببقية مستمرة ومستوى عالٍ من الشعور بالمسؤولية وسمو الإحساس بالأمانة تجاه أمته؛ لأنه مؤسس لمن سيحمل الأمانة بعده. علماء النفس في وقتنا الحاضر ينادون بضرورة تعزيز السلوك لدى المتعلم بشكل فوري وذلك لضمان استمراريته، وتعديل السلوك الخاطيء للمتعلم وتقويمه بشكل فوري أيضاً؛ حتى لا يصبح سلوكاً راسخاً يصعب تقويمه (القبلي، 2014)

يقول ابن القيم:

"مما يحتاج إليه الطفل أشد الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرد و غضب ولجاج وعجل وخفة مع هواه وطيش وحدة وجشع فيصعب عليه في كبره تلافى ذلك، وتصيح هذه الأخلاق صفاتاً وهيئاتاً راسخة له، فإن لم يتحرز منها غاية التحرز فضحته في يوم ما، ولذلك تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشئوا عليها".

كذلك ترجع فورية الرسول ﷺ في التعامل مع الحدث باعتبار أن الرسول ﷺ مشرعاً ومبلغاً عن الله فلا يجوز أن يسكت عن خطأ وذلك لئلا يعتبر تصرف الصحابي المخطئ حجة أو إقراراً من الرسول. كما حدث مع الصحابي جرهد الأسلمي عندما مرَّ عليه الرسول ﷺ وهو كاشفٌ عن فخذة فقال ﷺ: "غط فخذك فإنها من العورة" أخرجه البخاري: كتاب الصلاة في الثياب/ باب ما يذكر في الفخذ.

كذلك نهيه الفوري للصحابة عندما روعوا صحابي فقال: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً" رواه أبو داود (5004)، لما للترويع والتخويف من مضار صحية على الفرد (Nemeth and Scheres, 2015) بينما نجد في وقتنا الحاضر برامج قائمة على الترويع والرعب والتخويف. كذلك من المواقف مروره صلى الله عليه وسلم بالسوق وقوله للبائع: "يا صاحب الطعام من غش فليس مني"، نلاحظ الطريقة والأسلوب اللطيف في النداء يا صاحب الطعام فلم ينعت الرسول بنعت سيئ أو يلزمه وإنما اكتفى بنداء هين لين رقيق لعل صاحب الطعام لم يلحظ أو لديه عذر ما لم يتبين للمشتري فيدل هذا الموقف على التريث والإمهال حتى يتم الإيضاح والاستيضاح لعوامل حدوث الموقف. وهذا ما يجب عليه أن يكون المعلم في العملية التعليمية من اقتناص المواقف في البيئة التعليمية لما يعود بالفائدة على المتعلم مع التخلق بخلق الرفق واللين في التعامل.

المعيارية

المعيار هو ما تقاس به الأشياء أو الأمور والسلوكيات والحكم عليها من خلال هذا المعيار أو مجموعة من المعايير. ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار أشمل وأعظم معيار في تقييم السلوك البشري وتقويمه في جميع تعاملاته الدينية والاجتماعية والاقتصادية التجارية ألا وهو معيار في ضوء أوامر الله ونواهيه فهي الضابط الأول والأخير لمقومات الخلافة البشرية في الأرض. ولنا أن نتساءل كيف وظّف معلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المعيارية؟

عن أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" رواه مسلم (2564)، أبان المعيار والميزان في تقدير البشر وبماذا يقاسون عند خالقهم سبحانه وتعالى وذلك بأن الجسم والمال ليس محل نظر الله سبحانه وتعالى، وإنما محل النظر والاعتبار هو القلب والعمل. وفي مشهد آخر وظف الرسول هذه المعيارية بشكل فوري واستثماراً للحدث في تقرير وتأكيد حرمة السخرية ففي رواية لابن حبان رقم (7194) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أجتني لرسول الله سواكاً من الأراك، فكانت الريح تكفوه، وكان ساقه دقة، فضحك القوم من دقة ساقِي، فقال النبي ﷺ: ما يضحككم؟ قالوا: من دقة ساقِيه، قال النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد) فبين لهم أنه سلوك مستهجن ووضح لهم بأي شيء تقاس قيمة الإنسان والمعيار الفاصل لذلك حين قال ﷺ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتَعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيْبَةٌ. رواه البخاري (7142) بهذا المعيار تقاس الأمور وليس بقيمة الملابس والمقتنيات. كذلك يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المعيارية التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار؛ لأن في تحقيقه مصلحة الأمة ونجاتها، وفي إهماله الخطر العظيم والفساد الكبير، واختفاء الفضائل، وظهور الرذائل، وقد أوضح الله تعالى في كتابه عظيم منزلته في الإسلام، حتى إنه سبحانه في بعض الآيات قدمه على الإيمان، الذي هو أصل الدين وأساس الإسلام، كما في قوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) آل عمران (110). فمن عظيم شأنه قدم لما يترتب عليه من المصالح العامة وخاصة في هذا العصر. ونحن أمة نعتت بالخيرية كما ورد في الآية الكريمة ومتى أهملنا أو تساهلنا بهذا الواجب العظيم فستنتفي عنا تلك الخيرية المباركة. ونرى أنه لما فرط بنو إسرائيل في هذا الأمر وأضاعوه، قال الله تعالى في حقهم: (لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) المائدة (78)، ثم بينت الآية اللاحقة معنى العصيان الوارد في الآية السابقة فقال سبحانه: كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) المائدة (79)، فجعل هذا من أكبر عصيانهم واعتدائهم، وما ذلك إلا لعظم الخطر في ترك هذا الواجب.

الاستمرارية

صفة عجيبة أقصى غايات العجب، الاستمرارية لها دلالة عدم التوقف ومؤشر على المواصلة ونحن نعلم تمام العلم أن كل ما في الكون له لحظات توقف وسكون وراحة، إلا حبيبنا رسول الله ﷺ فقد كان منهجته التعليمي لأصحابه بدون توقف. ولو حاولنا جاهدين تخيل الأمر ليوم واحد وهو الاستمرار في التعليم لمدة 24 ساعة ليلاً ونهاراً في كل مكان وفي كل الأوقات في كل الظروف في المسجد، في السوق، في الشارع لهلكننا، ففيما روى البخاري (2465) ومسلم (2121) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرْفَاتِ) فَقَالُوا: مَا لَنَا بِذَلِكَ إِمَّا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: (فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا) قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: (غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَدَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ)

لنلاحظ تلك الكلمة العجيبة (إذا أبيتم) ليس فيها تزم وإصرار على التنفيذ، وإنما تفهم للحاجة البشرية من المجالسة والمحادثة لكن نراه ﷺ قد وظف المعيارية في هذا المقام ووضع الضوابط للجلوس في الطرقات كما أوضحها الحديث. كذلك مرَّ بالسوق على صرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بلأ، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس"، من غش فليس منا، نلاحظ النداء يا صاحب الطعام، لم ينهره بجفاف، أي أدب وأي ذوق وأي لطافة في التعامل، لنعمل مقارنة بسيطة بحالنا في تعاملاتنا، ونلاحظ أن الصحابة قد نهجوا نهجه فهذا عمر رضي الله عنه يقدم لنا روعة في اختيار الألفاظ وأجمل العبارات عندما مرَّ على أناس بليل قد أوقدوا ناراً فلم يقل يا صاحب النار وإنما قال يا صاحب الضوء خشية من أن تجرحهم الكلمة. (الخادمي، 1971)

التلاؤمية:

الناس متشابهون في كثير من الخصائص والصفات بحكم الرابطة الإنسانية البشرية التي تميزنا عن المخلوقات ولكن في المقابل نختلف في كثير من الصفات الموروثة والمكتسبة كالشكل، السمات الجسمية، الاستعداد، والقدرات والإمكانات والنوازح حتى في فعل الخير نحن متفاوتون وفي ضبط النفس قال تعالى: (فمنهم ظالم لنفسه ومنه مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)، وهذا ما تطلق عليه التربية الحديثة الفروق الفردية، (الزعيبي، 2007) قال تعالى: (أَهُمْ يُقْسِمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ ۗ إِنَّهُمْ لَمُعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) الزخرف (32) "بينت الآية الكريمة السبب في هذه الفروق وهو ليس أمراً عبثاً إنما اختيار؛ لنتعامل بها ونأخذها بعين الاهتمام فنحن نتعامل بعلاقة التكامل وسد النقص فيما بيننا، اختبار لنا في جميع شؤون الحياة منها المجال التعليمي. وصية الغزالي التي تؤكد ضرورة ملائمة العلاج لحالة المتعلم فقال: "كما أن الطبيب لو عالج المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم، وكذلك الشيخ المعلم، لو أشار على طالب العلم بنمط واحد أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في حالة طالب العلم ومزاجه وما تحتمله بنيته ويبنى على ذلك".

نلاحظ أن الرسول ﷺ يتعامل مع الموقف حسب ظروفه وحجمه وحسب طبيعة الصحابي وطبيعة خطيبته كما جاء في البخاري في كتاب الأدب (6108) عندما سمع ﷺ عمر رضي الله عنه يحلف بأبيه في ركب فناداهم عليه السلام مباشرة موظف صفة الفورية والاستمرارية والمعيارية " إِنَّ اللَّهَ يَنْهَأكُمْ أَنْ تُحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ كَانَ خَالِفاً فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ" لغة صريحة واضحة صارمة لأنه يتعامل مع أمر محرم، وهو الحلف بغير الله وتعامل ﷺ مع ما يتناسب المخاطب المخطئ قوة عمر رضي الله عنه، في المقابل نراه ﷺ يتعامل بكل تسامح مع الأعرابي الذي جبهه بشدة حتى أثر في عنقه، لكنه تفهم طبيعة الأعرابي وتعامل برحابة صدر. ونرى ما حصل لنا من تمييع في ديننا حتى تفسخ الدين والأخلاق قلة الحياء عند الجيل وانعدام الضمير الحي اليقظ؛ والسبب في هذا التفسخ هو أننا تنازلنا عن تنفيذ وتطبيق تلك الصفات النبوية من فورية واستمرارية ومعيارية وشمولية في تعاملتنا مع الحق والباطل.

المبحث الرابع: أسباب تنوع الأساليب النبوية

ذكر السويد (2016) أن التنوع النبوي مؤثرٌ في التعليم من أوجه:

الوجه الأول: لتوضيح الفكرة.

الوجه الثاني: تثبيت المعلومة ورُسوخها في الذاكرة.

الوجه الثالث: تصلُّ الفكرة لأكبر عددٍ من المتلقين.

الهدف الجوهرى والرئيسى من التنوع فى الطرائق النبوية، والذى وظف بمنهجية دقيقة مدروسة وبمعايير معينة هو «المعرفة أو المعلومة». نوع ﷺ فى أساليبه لتصل هذه المعرفة أو المعلومة المراد إيصالها للمتعلم بوضوح لا لبس فيه ولا شائبة ولا غموض، وهذا هو الغرض من العملية التعليمية بأكملها ليتم العمل على ترسيخها ليسهل استرجاعها والاستفادة منها وتوظيفها. وسنرى أن الرسول ﷺ كان يختار من الأساليب أحسنها وأجملها وأوقعها فى نفس المخاطب وأقربها لذهنه وفهمه فكان هذا التلوين الملحوظ فى أساليبه، فمرة يكون الرسول ﷺ سائلاً وتقابلها مرة أخرى يكون فيها مجيباً، وتارة فى جوابه اقتضاب وبقدر، تقابلها مرة الجواب بإسهاب، ونلاحظ فى حالات يكون ضارباً للأمثال، وتارة يوظف القسم والرسم والتشبيه. وقد نراه موبخاً وفى مرة أخرى ملمحاً. ومن العجب أحياناً على التنوع الكثير فى أساليبه ﷺ إلا أننا قد نراه فى الموقف الواحد قد وظف مجموعة من الطرائق، فنراه يروي لنا القصة مستخدماً السؤال وأسلوب الحوار الثنائى كما فى حديث جبريل وهو ما نطلق عليه بالتدريس بالفريق والذى ظهر كاتجاه حديث فى الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين فى كل من أمريكا وبريطانيا (Donaldson & Sanderson, 1996).

المبحث الخامس: الطرائق النبوية

تناول هذا المبحث الطرائق النبوية وقد ارتأت الباحثة إيراد الطرائق مرتبة حسب ما تراه الأولى والأهم في التقديم في عملية التعليم والتعلم كالتالي:

التعليم بالقوة (المثل - الرمز الأخلاقي) المسمى في التربية الحديثة المحاكاة

تتقدم الطرائق النبوية التعليم بالقوة وترجع هذه الصدارة كون التربية بالقوة نقطة البداية والارتكاز في التعليم فإذا أراد المعلم أن يختصر على نفسه كثير جهد وطول وقت فليكن فعله أكثر من قوله وليكن المعلم الأول سيدنا محمد ﷺ قدوته في ذلك والتي تعتبر مسيرة حياته أعظم قصة في دروس القوة على جميع الأصعدة، قصة لا تنتهي فصولها ولا تنتضب ثمارها نبع فياض لكل مجال من مجالات الحياة. لنرى من أمثلة هذه القوة العظيمة ليستفيد منها معلمي هذا العصر صنف نهانا الله عنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) الصف (3-2)

نراه قدوة في حياته الزوجية، والصبر على أهله، وحسن توجيههن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (رواه الترمذي، 3895) وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (1174). وكذلك نراه قدوة في حياته الأبوية وفي حسن معاملته للصغار ولأصحابه ولجيرانه، وكان يسعى في قضاء حوائج المسلمين، وضرب مثلاً في القوة العسكرية فنراه إما يتقدم في الغزوات، وإما يوجههم من مركز القيادة. ونراه في غزوة الخندق يربط الحجر على بطنه ويحفر الخندق مع الصحابة، ويرتجز مثل ما يرتجزون؛ فكان مثلاً للمربي القدوة، يتبعه الناس، ويعجبون بشجاعته وصبره، قدوة في العبادة أفلا أكون عبدا شكورا. (المباركفوري، 1999) ودعا الرسول لتوظيف هذا الأسلوب التربوي التعليمي في قوله ﷺ: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) البخاري (613) وقال: (خذوا عني مناسككم) رواه مسلم (1297). ومن جهة أخرى نراه يحذر ﷺ من القدوة السيئة كما في حديث عبد الله بن عامر، أَنَّهُ قَالَ: (أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْنِنَا وَأَنَا صَبِيٌّ. قَالَ: فَذَهَبْتُ أَخْرُجُ لِأَلْعَبَ. فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَ أُعْطِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا أَرَدْتُ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ قَالَتْ: أُعْطِيَهُ تَمَرًا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذْبَةٌ) رواه أبو داود (4991).

وليس أدل على كماله ﷺ في القدوة من إطلاق لقب الصادق الأمين من ألد أعدائه كفار قريش فقد أطلقوا هذا اللقب وظلوا يتعاملون معه ﷺ في تجاراتهم وودائعهم حتى بعد البعثة بالرغم من عدائهم له لما عهدوا عليه بأنه أوفى الناس بالوعد وأشدهم إنتمانا على الودائع وأكثرهم ورعاً وحذراً من أكل مال الصدقة. (المباركفوري، 1999)

القدوة وهي الرمز والمثل والمعيار للسلوك ونموذج متنقل ينطق بما فيه من فكر وعمل. حب التعلق والمحاكاة وهو أمر فطري غريزي في النفس البشرية أثبتتها كثير من الدراسات كدراسة غزاوي (1431). فالفرد يقوم بعمليات نسخ واقتباسات لأقوال وأعمال من أقرب الناس إليه مخالطة. ويكون هذا الحب الفطري للمحاكاة والتقليد في ذروته في مراحل عمرية معينة فمثلاً نرى الطفل في طفولته عينية معلقة بوالديه باعتبارهم أنموذج الذي يحتذي بهم في كل أفعاله وأفعاله. لذا فمن ناحية تربوية لا بد من استغلال هذه المرحلة الذهبية في أمر المحاكاة والعناية به حق العناية، فنرى من السلف عقبة بن أبي سفيان يقول لمؤدب ولده: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح نفسك فإن عينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت. العلماء انتبهوا لهذه الفطرة ورعوها غاية الرعاية وأطلقوا عليها "الحب الانفعالي"، وبينوا أهميته في الناحية التعليمية وضرورة استغلاله، فعلى المعلم القدوة استغلال هذه الناحية في المتعلمين فيرببهم بأفعاله أكثر من أقواله، فهي توفر الجهد والوقت على المعلم إذا رأى طلابه ممارسته لما يأمرهم به من خلق وأدب وجميع القيم. فهذا ابن

مسعود من أصحاب رسول الله أشدهم شبهها لرسول الله ﷺ فوصل لهذا الشبه الكريم من حبه للرسول الذي كان قدوة في كل أمر لا يأمر بأمر إلا كان الأسبق إليه.

التعليم بالتطبيق والممارسة

كان الرسول ﷺ يقرن الإيضاح اللفظي المجرد بالبيان الفعلي قدر المستطاع وذلك كون الفعل أبلغ في البيان والإيضاح من القول المجرد في نفس المتعلمين. فتناول الرسول ﷺ هذا النوع من التعليم في مواقف كثيرة بينت عظيم شأن هذا الأسلوب من التعليم منها هذا الموقف النبوي: عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رَأَى نُحَامَةً فِي الْقِبْلَةِ، فَسَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قَبْلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنِ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ثُمَّ أَحَذَّ طَرَفَ رِدَائِهِ، فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا "خرجه البخاري، كتاب الصلاة رقم (405)

كذلك ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: (أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطُّهُورُ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَعَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ فَادْخَلَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ، وَمَسَحَ بِإِصْبَعَيْهِ عَلَى ظَاهِرِ أُذُنَيْهِ، وَبِالسَّبَّاحَتَيْنِ بَاطِنِ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا أَوْ نَقَصَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ - أَوْ ظَلَمَ وَآسَاءَ) صحيح أبي داود رقم (135)

التعليم بالتطبيق والممارسة أقوى الأساليب التربوية وأجود طرق التعليم وأحسنها تنادي به التربية الحديثة بما يسمى "بالتعليم النشط" والذي ظهر في نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي حيث أعطي المتعلم الفرصة للممارسة الفعلية للأنشطة ليكون محور التعليم الأساسي (الربيعي، 2016). التعليم والتعلم بالممارسة يتم من خلالها إدماج المتعلم والمعلم على حد سواء في تعليم نشط يتم خلاله ممارسة المتعلم لفكرة تدور في عقله كمدلول مجرد فيراه شاخصاً أمام عينه وقد نلاحظ هنا مدى الارتباط بين القدوة والتطبيق العملي أو الممارسة فكلا الأمرين متعلق بالأداء والعمل.

التعليم على أساس البناء المعرفي السابق

وهو ما يسمى في التربية الحديثة التعلم البنائي والذي ينسب إلى بياجيه الذي أنشأ عام 1965 مركز نظرية المعرفة الوراثية في جنيف. ويقوم التعلم البنائي على عدة مبادئ منها أن للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد أثرًا كبيرًا في بناء المعرفة، وتراكمية الخبرات وأن الفرد يقوم بعمليات موائمة لما يستقبله من معلومات لذا كان من الضرورة التعامل مع الخبرات السابقة للمتعلم من حيث إنها القنوات المعبرية والبنائية للخبرات الجديدة. تعامل الرسول ﷺ في تربيته وتعليمه لأصحابه ما يتناسب وخبراتهم السابقة ليكون ذلك أشدًا لإبراز المعنى وتجلية للحقائق وأكثر إقناعًا فنرى في الموقف التالي كيف قرب ﷺ المشاهد لهذا الأعرابي بمثال من خبرته السابقة من واقع بيئته ومما يشاهده في حياته العامة فهذا هو موقف نبوي يحكي لنا الحكاية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي فِزَارَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي وَوَلَدَتِي غُلَامًا أَسْوَدَ وَإِنِّي أَكْرَهُهُ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ " هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ " . قَالَ نَعَمْ . قَالَ " مَا أَلْوَأَتْهَا " . قَالَ حُمْرٌ . قَالَ " فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ " . قَالَ نَعَمْ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " فَأَنَّى هُوَ " . قَالَ لَعَلَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَكُونُ نَزْعُهُ عِرْقٌ لَهُ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ " وَهَذَا لَعَلَّهُ يَكُونُ نَزْعُهُ عِرْقٌ لَهُ " . (صحيح مسلم، كتاب اللعان. 2848)

كيف تعامل الرسول ﷺ مع هذا الأعرابي وكيف أقتعه في موضوع يعتبر لأعرابي موضوع شرف فما الوسيلة التي صاغها الرسول ﷺ المعلم ونالت من قناعات ذاك الأعرابي كاملها؟ نجد أن الرسول قد خاطب هذا الأعرابي بمنطق يعرفه وليس بحديث عليه إنما يلامس واقع الأعرابي وبيئته وكان هذا التقريب قائمًا على الطريقة الحوارية بالأسئلة المطروحة والتي تستنطق الأعرابي نفسه لتقوده إلى القناعة الكاملة وليست الصيغة الخبرية. فهنا ركز لنا الرسول على أهمية ربط الخبرة السابقة في تعليم

السائل وهذا ما تنادي به التربية الحديثة من أهمية في توظيف الخبرات السابقة في العملية التعليمية والتعلمية والكشف عنها واستدعائها والبناء عليها ليسهل تكوين البناء المعرفي المترابط. ونلاحظ أيضا في المعجزات السماوية للرسول أنها تأتي متوافقة مع خبرات القوم التي بعث فيها الرسول مما يدل أن هذه الطريقة طريقة إلهية من عليم حكيم بخلقه.

التعليم حسب الذكاءات المتعددة

الذكاءات المتعددة تعد أقوى نظرية معرفية فقد وضعها عالم النفس هارولد غاردنر 1983 والتي تتبنى فكرة أن الفرد يتمتع بعدد من الذكاءات يبرز منها ذكاء أو ذكاءان ولا بد من استغلال هذه الذكاءات في العملية التعليمية. (عبيدات والسعيد، 2017).

أصل الرسول ﷺ للذكاءات المتعددة وتعامل مع الناس حسب ذكائهم منذ ٤٠٠ سنة، وعمل على مراعاة ذكاء البشر من خلال إعطاء كل صنف من الناس ما يناسبه لتفاوت ذكاءاتهم فوظف أسلوب التخصيص لمهام تتواءم وذكاءاتهم. وقد قدم لنا الرسول ﷺ مبدأ لتعلم الذكاء عندما قال: **إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعْلُمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ** رواه الطبري وغيره، وصحيح الجامع رقم (2328)، فهذه مسلمة من مسلمات نظرية الذكاءات المتعددة والتي تبين لنا أن الذكاء موجود في كل شخص بنسب معينة غير ثابتة ويبرز نوع أو نوعان ولا يعني انتفاء الأنواع الأخرى من الذكاءات. كان ﷺ له أساليبه المتميزة في تنمية هذه الذكاءات منها على سبيل المثال لا الحصر كثرة الاستشارات والحوارات المختلفة الأساليب كالحوار بطرح الأسئلة أو ضرب الأمثال. والناس أصناف كل ميسر لما خلق له حسب اختصاصه وعمله وقدراته وطاقاته وعلميته لعمارة هذه الأرض ولتكملة دائرة الحياة ولتستقيم حتى نهايتها، فكل واحد منهم يكمل الآخر. وليس أدل على اختلاف أصناف الناس وقدراتهم مما ذكره مسلم (رحمه الله) في أول صحيحه (ج1ص6) تعليقا، فقال: **وذكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ (أَنْ نُنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ). فهذا توجيه عظيم فهو بمثابة الميزان يجعل المسلم يتعامل مع الناس على ضوئه، فأمرنا ﷺ أن ننزل الناس منازلهم لتفاوت عقولهم واختلاف مداركهم وذلك لتسير الحياة نحو العطاء والبناء والرقى والتقدم. إن الرسول ﷺ كان يوجه أصحابه حسب مناطق تميزهم في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والعسكرية وتعدى ذلك لنواحي الشعر وحتى النغمية فيسعى ﷺ لإطلاق الطاقات الكامنة داخلهم وتحفيزها فنراه يمدح أبو موسى الأشعري على حسن الصوت وتشبيهه بالمزمار في قوله ﷺ "لقد أوتيت مزمارًا من مزامير داود" وهو ما يسمى بالذكاء الموسيقي ولم يقف الرسول ﷺ إلى هذا الحد من التحفيز وشحن الهمم وإنما نراه يوجه أصحابه لتنمية هذا الذكاء لديهم فيما أخبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَشَّرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ)". أخرج ابن ماجه في سننه (114) كذلك ﷺ استخدامه للذكاء الاجتماعي في فتح مكة لمعرفة ﷺ بنفسية أبي سفيان وحبه للفخر والمدح حين قال "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن". ولنتجه للناحية العسكرية فنصّب صاحب العبقرية العسكرية خالد بن الوليد قيادة الجيوش لإدراكه ﷺ نقطة تميزه العسكري ولم يكتفِ ﷺ بذلك بل لقبه بسيف الله المسلول تحفيزًا للذكاء والعمل على زيادته، نرى ذلك أيضا عند قوله لحسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ المؤيد بروح القدس فيما روي عن أبي هريرة، فقال: **أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، أَسْمَعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟ قَالَ: نَعَمْ".** رواه البخاري (3212). ومن ذلك ما روى الترمذي في سننه (2715) عن "زيد بن ثابت" قال: **أمرني رسول الله - ﷺ - "أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود"، قال لي: "والله ما آمن يهود على كتابي"، فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: "فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا له قرأت له كتابهم".****

لذا كان من الضرورة توظيف هذا المنطق من التعامل مع الناس كل حسب شاكلته في ميادين الحياة كلها، فمثلا في المجال التربوي لماذا نوبخ من كانت طاقته محدودة مع أنه يبذل كل جهده، فلا بد من استئثار ما يبذله من جهد ومحاولة ومدحه والثناء عليه.

التعليم حسب أنماط المتعلمين

رسولنا العظيم يطلب من أصحابه المشورة " أشيروا عليّ أيها الناس" (المباركفوري، 1999) وهو أمر إلهي حيث قال تعالى " وشاورهم في الأمر" (آل عمران، 159). والمشورة تستلزم من المُشير إعمال العقل بعمق وتعتمد التفكير بكل أنواعه التحليلي والتأملي والناقد وذلك لاستظهار جميع جوانب موضوع المشورة.

وظّف الرسول كل أنماط التفكير الستة في كل مواقف الشورى والمجالس الاستشارية التي يعقدها، ففي غزوة الخندق عقد الرسول مجلسا استشاريا عاجلا للمشورة شاور أصحابه حول خطة الدفاع عن المدينة المنورة، فبعد عدة آراء ومقترحات نال البعض منها القبول والبعض الرفض واستقر القرار النبوي على ما أشار إليه سلمان الفارسي بحفر الخندق. إن من مقتضيات المشورة أن نأخذ برأي مغاير للتفكير لأخذ آراء ومقترحات حول موضوع معين، بالتالي سوف يتطلب ذلك إعمال نوع التفكير لكل شخص من خلال هذه المناقشات فيتجلى من خلال هذه المقترحات أنماط الشخصيات فتتعرف على النمط المتقائل والذي يبين محاسن الموضوع وإيجابياته من النمط الحذر والذي يوضح ما قد يواجه الموضوع من عقبات قد تؤدي إلى صعوبة تنفيذه، والأشخاص العملية التنفيذية وأنماط الأشخاص المعالجة للأمور العسوية والتي تضع محسنات ومعالجات لتلك المعوقات. من الشواهد النبوية التي وظّف فيها ﷺ تلك الأنماط موقعة بدر ففيما رواه البيهقي في "دلائل النبوة" (13 / 3) عندما تحرك رسول الله ﷺ بجيشه، ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل على أذنّى ماءٍ من مياه بدر، فقام الحُباب بن المُنذر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلَكَ اللهُ، ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه، أم هو الرّأي والحرب والمكيدة؟ قال: (بَلْ هُوَ الرّأي والحرب والمكيدة)، قال: يا رسولَ اللهِ فإنّ هذا ليس بمنزلٍ، فانهض بالناس حتى نأتي أذنّى ماءٍ من القوم - قريش - فننزله ونغور - أي: نخرب - ما وراءه من القلب، ثم احفر عليه حوضاً فنقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي، ثم تحول النبي ﷺ بالجيش إلى المكان الذي أشار به المنذر. فلنبدأ تحليل هذا الموقف الشريف ونسقط كل قبة في مكانها المناسب:

قول الحُباب بن المنذر رضي الله عنه لرسول الله "أرايت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلَكَ اللهُ، ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه، أم هو الرّأي والحرب والمكيدة؟ قال: (بَلْ هُوَ الرّأي والحرب والمكيدة)" عبارات تتطلب جمع المعلومات عن موضوع إقامة المعسكر وهذا النوع من التفكير هو تفكير القبة البيضاء ذات المهمة الجمعية للمعلومات. وقوله " فإن هذا ليس بمنزل" عبارة تدل على مشاعر الكراهية في الإقامة في هذا المكان والتي تمثل القبة الحمراء المليئة بأنواع المشاعر. ثم يأتي قوله " فانهض بالناس حتى نأتي أذنّى ماءٍ من القوم- قريش - فننزله ونغور - أي: نخرب - ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً، فنملأه ماءً " عبارات مليئة بالمقترحات التحسينية وهذه من مقتضيات القبة الخضراء. أما عبارة " فنشرب ولا يشربون" فتظهر ميزة وإيجابيات المعسكر الجديد وهذه عبارة القبة الصفراء المظهرة لإيجابيات وحسنات الموضوع محل النقاش. ثم يأتي تنفيذ الرسول ﷺ بعد استحسانه لرأي الحُباب " تحول النبي ﷺ بالجيش إلى المكان الذي أشار به المنذر" والتي تبين عقلية الرسول السريعة التنفيذ لما فيه المصلحة للمسلمين. فهنا نلاحظ أن أغلب أنماط القبعات الست قد تجلت في هذا الموقف ضمناً في الحوار النبوي الشريف. كذلك غزوة تبوك فيما ذكره المباركفوري في الرحيق المختوم (1999) أنه ﷺ أقام 20 ليلة ولم يلق الروم فاستشار من معه من المسلمين في التقدم شمال تبوك فأشار عمر بعدم التقدم لاحتماله الاصطدام بجيوش الروم وحلفائهم وهم أكثر منهم عدة وعتاد، وإن اقترب النبي إلى هذا المكان قد حصل منه المقصود وهو إفزاز الروم فقبل النبي

مشورة عمر. في هذا الموقف نلاحظ القبة السوداء في العبارات التي بينت سلبيات التقدم شمال تبوك من الاصطدام بالجيش المدجج بالعدة والعتاد. كذلك القبة الصفراء في إيضاح إيجابيات الاقتراب لهذا المكان وهو حصول الفزع في قلوب الروم. أيضا قضية أسرى بدر فنجد   يضع الموضوع للمشورة مشاورة بين الصحابة فيشير أبو بكر الفدية وعمر يطالب بالقتل فأخذ الرسول بمشورة أبي بكر ونزل قرآن يتلى بتأييد رأي عمر رضي الله عنه، والمواقف النبوية بهذا الصدد كثيرة.

التعليم بالاستقراء والقياس

كان الرسول   يسأل أصحابه ليختبر أفهامهم ويرغبهم في أعمال العقول وتشغيل الأذهان واستثارة التفكير لإشراكهم للتوصل إلى الأحكام أو النتيجة وهذا له الأثر في تشويقهم وحفز همهم وتناسلهم وقد وظف الرسول ذلك بفنية متميزة في مواقف كثيرة تجعل القارئ يستقري الموقف بطريقتين الطريقة الاستقرائية للأجزاء وكذلك الطريقة القياسية، من هذه المواقف ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي   قال: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْفُطُ وَرَفْهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ حَدَّثُونِي مَا هِيَ قَالَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبُؤَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ) البخاري(60) فنلاحظ هنا أن الرسول   قد استخدم أسلوباً قد يكون استقرائياً قام به الصحابة حيث طرح الرسول مثلاً واحداً وبدأ الصحابة في تتبع ما يشابه هذه الصفة التي قدمها الرسول لهذا النوع من الشجر حيث ذهبت أذهانهم إلى أشجار البوادي وكان كل صحابي يفسرها بنوع من هذه الأشجار. وبقراءة أخرى للموقف نرى أن الرسول   قد وظف الطريقة القياسية حيث إنه   أعطى قانوناً للقياس عليه وهو تشبيه الشجرة المعنية بالإنسان لا يتحات ورقها وتوتى أكلها كل حين، فطق الصحابة بقياس ذلك التشبيه بما يشابهه من شجر البوادي والقياس عليه.

التعليم بحل المشكلات وخطوات البحث العلمي

وظف الرسول طريقة حل المشكلات في مواقف عدة بطريقة ربانية علمية مستشعراً ومحددًا المشكلة وواضحاً احتمالات الحلول لها واختيار الأنسب منها بعد اختبارها للوصول إلى حل للمشكلة المطروحة لنبدأ في تحليل هذا الموقف النبوي الشريف وإسقاط خطوات البحث العلمي على الطريقة الحوارية بين الرسول   والشاب طالب الإذن في الزنا فعن أبي أمامة رضي الله عنه: أَنَّ غلامًا شابًا أتى النَّبِيَّ   فقال: يا نبيَّ الله، أتأذن لي في الزَّنا؟ فصاح النَّاسُ به، فقال النَّبِيُّ  : ((قَرِّبُوهُ، اذْن))، فدنا حتَّى جلس بين يديه، فقال النَّبِيُّ  : ((أُتِحُّهُ لَأَمِّكَ؟)) قال: لا، قال: ((كذلك النَّاسُ لا يحبُّونه لأُمَّهَاتِهِمْ، أُتِحُّهُ لابنتِك؟)) قال: لا، قال: ((كذلك النَّاسُ لا يحبُّونه لأخواتِهِمْ)) ثمَّ ذكر له العمَّة والخالة، وهو يقول في كلِّ واحدة: لا، جعلني الله فداك، فوضع رسولُ الله   يده على صدره، وقال: ((اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبَهُ، وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ))، فقام من بين يدي رسول الله   وليس شيء أبغض إليه من الزَّنا؛ رواه أحمد.

صاغ لنا الرسول خطوات طريقة حل المشكلات في هذا الموقف فنراه يتحسس مشكلة الشاب والتي هي أعظم من طلب الزنا التي يعرف الشاب مدى حرمتها، ودلالة ذلك طلبه الإذن من رسوله  ، إنما المشكلة الحقيقية هو ضعف الوازع الديني في قلب هذا الشاب الغض. بدأ الرسول بعد استشعار المشكلة في تحديدها ثم وضع الفروض أو الاحتمالات والتي تمثلت في عبارات قوله  : "أُتِحُّهُ لَأَمِّكَ؟" "أُتِحُّهُ لابنتِك؟" "أُتِحُّهُ لأختك؟" كان   يختبر كل احتمال بشكل فوري في صياغته الاستفهامية، ويرد الشاب بقوله "لا، جعلني الله فداك"، والتي تعتبر عبارات تفند تلك الفروض وترفضها ثم تأتي خطوة التعميم لها من قبل رسول الله   "كذلك النَّاسُ لا يحبُّونه لأُمَّهَاتِهِمْ" لكل صنف من الأصناف الموجودة في الحديث. إنَّ حل المشكلات عبارة عن ممارسة عملية وظفت فيها مهارات استقصائية استقرائية قياسية لغرض حل المشكلة والذي يسمى في النظرية البنائية الضغط المعرفي وذلك بهدف الرجوع لحالة الاتزان المعرفي (العدوان وداود، 2016). تعامل الرسول مع

هذه المبادئ الحديثة بشكل ضمنى في تعاملاته التربوية التعليمية، كذلك نرى أنه أدخل الطرائق بعضها ببعض حسب تناسبها وفي ذلك مؤشر أن الطرائق التعليمية لا يمكن فصلها وتفريد كل طريقة لموضوع معين بعينها وإنما كلما تداخلت الطرائق كان إيصال المعلومة أيسر وأسهل وأفهم للمتعلم.

التعليم بالتكرار والتلقين

أدرك الرسول ﷺ قيمة أسلوب التكرار والتلقين كونه ﷺ تلقى القرآن مشافهة من جبريل عليه السلام ومن مقتضيات هذه المشافهة التكرار للإتقان، ففي سورة القيامة قال تعالى " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ". لنمعن النظر في لفظ الأمر في قوله تعالى " اتبع " فنجد أنها تضمنت أمراً للتكرار للإتقان المقروء. وفي قوله تعالى في سورة الإسراء " وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106) "، لننظر إلى عمق هذه الآية العظيمة والتي اشتملت على عدد من المبادئ التعليمية منها التدرج في التعليم والذي سننتطرق له في هذا البحث، وبينت الآية طريقة الإلقاء وهو ليس أي إلقاء وإنما قيده بأنه إلقاء على مكث أي تريت وتمهل ومن مقتضيات هذا المكث والتمهل الإعادة والتكرار حتى يتقن المطلوب ويفهمه. نهج الرسول ﷺ الطريقة الربانية في التعليم فالشواهد من أحاديث السنة كثيرة منها فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثاً). أبو غدة (1417). فكان ﷺ يعيد كلامه ثلاث مرات وليس معنى ذلك أنه الحد الأقصى، ولكن كما قال ابن التين: إن الثلاث غاية ما يقع به البيان.

يقول الإمام الغزالي:

"أعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه، ليحفظه حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتدأه الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإتقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان. وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، والحديث وفوائده، بما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها" 1432. وما يجب أن نلاحظه هو أن التلقين مرتبط بالتكرار وذلك لغرض الفهم والاستيعاب، فمما لاشك فيه أن التكرار من الوسائل التربوية الهامة في الموقف التعليمي والمعينة على الحفظ والفهم والاستيعاب فلا بد من الحرص على استخدامها وخاصة في المراحل الأولى للمتعلم وذلك لإكسابه المفردات واللغة ولتكون لديه حصيلة من المفردات التي تعينه على التعبير فما نشهده في هذا الزمان من عدم الإجابة وقلة الإتقان في اللغة والضعف في الإملاء والتعبير وعدم قدرة على الاسترسال في الحديث سببه يرجع إلى تلك الحرب القائمة ضد التلقين والتكرار واتهامه بأنه أسلوب فيج يسلب عقول المتعلمين. كيف يكون ذلك ونحن أمة بدأت باقراً ثلاثاً فهي طريقة إلهية حري بنا أن نتعامل بها وأجدر أن نتبع وتوظف في كثير من المواقف التعليمية التربوية. وما يثير الدهشة أن مستويات بلوم للتفكير قاعدتها وأساسها ونقطة الانطلاقة لديها هي مستوى الحفظ فلكي يتقن المتعلم وينتقل لبقية المستويات لابد من إتقان المستوى الأول والذي يعتمد بشكل أساسي على الحفظ والتكرار؛ وذلك ليتمكن المتعلم من صياغة المفهوم بمفرداته الخاصة في المستوى الثاني وهو مستوى الفهم. ومن الأمثلة على ضرورة وأهمية التكرار الأحاديث التالية والتي وطف فيها التكرار ولكن لكل منها هدف وغرض مغاير عن الآخر منها:

عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال النبي: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً)؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور. قال فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت) رواه مسلم، باب بيان الكبائر (87) فكان التكرار هنا لبيان عظيم المسألة التي ستعرض في سياق الحديث والتحذير منها. وفي مقام آخر نراه ﷺ قد كرر النداء لمعاذ رضي الله عنه ليرعاه الانتباه والتنشيق ولتأكيد أهمية المعلومة التي سيوردها

ﷺ كما في حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ -ومُعَاذُ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ- قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَنَبِيِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَنَبِيِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا، قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إِذَا يَنْكَلُوا، فَأَخْبِرْ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتُمًا) البخاري، باب من جاهد نفسه في طاعة الله (6135). وفي مشهد آخر نلاحظ أنه ﷺ قد استخدم التكرار ولكن لغرض الزجر والتوبيخ لما في التكرار من زيادة التأنيب للشخص السامع ومعاتبه وإحياء لضميره ولنفسه اللوامة كما في عتابه الشديد للهجة لأسامة بن زيد عندما قتل من قال لا إله إلا الله حتى بلغ منه العتاب مبلغه أنه رضي الله عنه تمنى أنه لم يسلم قبل ذلك اليوم قال أسامة: (فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: يَا أُسَامَةُ! أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟! قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّدًا، فَقَالَ: أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟! إِمَّا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ). أخرجه مسلم (97) باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله

التعليم بالحث على التعلم

احتل العلم مكانة سامية في الإسلام لما له من الأثر على البشرية حيث يعتبر أداة لسبر أغوار هذا الكون والكشف عن أسرارهِ وطريق إنارة حياة الناس والرفقي بها. وحسبنا في هذا المقام أن نكتفي بهذا الحديث كدلالة على ضرورة طلب العلم والسعي له فعن أنس بن مالك قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ). رواه ابن ماجه (224)، فحث الرسول ﷺ الصحابة على العلم وطلبه وبيّن لهم مكانته وأنه من أهم طرق الوصول إلى الله تعالى (يالجن، 1402) وبيّن لهم ﷺ إعانة الله لطالب العلم تعزيرًا وتنافسًا فيما بينهم مما يسهل عليهم تجشم الصعاب في سبيله فقال ﷺ " مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَةٍ مِنَ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَةٍ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) رواه مسلم (2699). جاء صفوان بن عسال رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم. فقال له النبي ﷺ: (مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، طَالِبِ الْعِلْمِ لَتَحْفَهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظَلَّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ) رواه الطبراني. وقال رسول الله ﷺ: « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ وَإِنْ فَضَّلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَّلَ الْقَمَرُ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنْ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِمَّا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ). رواه الترمذي (2682) وأبو داود (3641) وابن ماجه (223)، وحسنه الألباني في " صحيح الترغيب (17 / 1) . وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع" (رواه الترمذي، وقال حديث حسن). عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقْنُوهُمْ قُلْتُ لِلْحَكَمِ مَا أَقْنُوهُمْ قَالَ عَلِمُوهُمْ» رواه ابن ماجه 247. فهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث تعتبر سبباً في ازدهار الحياة العلمية في القرون الذهبية. إن الإنسانية لم تتطور إلا عن طريق التعلم الذاتي المستمر وذلك لأن الحياة جبلت على الخضوع للتغير المستمر (الفرا، 2007). وهو تعلم لا يعرف حدوداً مكانية ولا زمانية، ليس له عمر افتراضي، فالإنسان إذا وضع في محك الحاجة وهو ما نطلق عليه حسب النظرية البنائية الحديثة بالضغط المعرفي نراه يسعى جاهداً لإشباع تلك الحاجة. والتربية الحديثة تنادي

بضرورة تعليم المتعلمين طريق كسب المعرفة وتدعو إلى التعلم النشط الذي تنطوي تحته مجموعة من الاستراتيجيات أغلبها إن لم تكن جميعها تطالب بضرورة اعتماد المتعلم على نفسه بالتعليم واكتساب المعرفة ويكون دور المعلم مساعداً وميسراً له ومرشداً. (عشا وآخرون، 2012)

التعليم بالتدرج في التعليم

يعتبر هذا النوع من التعليم أساساً من أسس بناء المنهج في الدراسات الحديثة التربوية والمسمى في منطق التربية الحديثة بالتعليم حسب التسلسل المنطقي والسيكولوجي. وظّف الحبيب المصطفى هذا الأساس في كثير من المواقف منها قال رسول الله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن- إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ. أخرجه البخاري (1496). وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعدة في الأيام؛ كراهة السامة علينا" البخاري كتاب العلم (68).

مشاهد من المشاهد النبوية المتفردة في التعليم والجامعة لمبادئ مهمة في العملية التعليمية منها: التدرج وهو تقسيم المحتوى المراد إيصاله لذهن المتلقي ومراعاة تقديم الأهم فالأهم وذلك مسوغ من مسوغات الفهم والإدراك والاستيعاب السريع. ومن المبادئ التي يُشير إليها الموقف النبوي مراعاة الفروق الفردية على جميع الأصعدة العمرية والنفسية كذلك على الصعيد الديني كما بينت وصاياه ﷺ لمعاذ بن جبل حين ابتعثه أهل اليمن فذكره بأنهم أهل كتاب والتي تدل على أنهم أهل علم ولديهم من الحذاقة والحصافة ما يلزم المبعوث لهم أن يتسلح بالعلم والفتنة والصبر. كذلك من المبادئ المبينة في هذا الموقف هو التحلي بالصبر على المتعلم والرأفة بهم. ونستنتج من تلك المشاهد تأكيد الرسول ﷺ على تراكمية العلم وهو مبدأ من مبادئ النظرية البنائية الحديثة التي تؤكد على طبقية البناء المعرفي لدى المتعلم باعتبار أن التعلم معلومات وخبرات تراكمية تتطلب أن تكون مرحلية وبمقدار لضمان فهم المتلقي قبل الانتقال إلى ما بعده (الموسوي، 2015). فنرى ذلك واضحاً جلياً فيما رواه جندب " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِثْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَارْتَدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا " ابن ماجه (61) وصححه الألباني. وتعليم الرسول القرآن لأصحابه آية، فبعد أن استوعبوا الإيمان واستقر في قلوبهم وطبقته جوارحهم انتقل بهم لتعلم القرآن. وفي ذلك تطبيق للتقويم المرحلي وأهميته لصحة البناء المعرفي المتراكم، ومعرفة الرصيد المعرفي هو مبدأ بنائي حديث. خلاصة القول في هذا النوع من التعلم هو أن الرسول ﷺ قد أصّل لنا مبدأ التعامل مع التفاوت البشري وهو مراعاة الظروف النفسية وحالة المتلقي واستعداده في جميع المجالات حتى في مجال التشريع والعبادات وتمارين الناس لقبولها؛ فنجد في أمر تعليم الأطفال للصلاة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ " رواه أحمد (6650) وأبو داود (495) بين لنا ﷺ ضرورة مراعاة الفترة الزمنية العمرية وما لها من أثر في التعليم من حيث القدرة والاستطاعة فلكل مرحلة عمرية نضوجها الخاص والاستيعاب والفهم فيها بمقدار.

التعليم بالخرائط الذهنية:

ويدخل ضمن هذا النوع من التعليم طريقة التعليم بالأحداث وربط الواقع وتوظيف لغة الجسد والحواس (البصر، السمع، اللمس، الشم، الذوق) والسابر لأغوار السيرة النبوية يجد أنها عامرة بكثير من الشواهد على هذا التوظيف لهذا النوع بجميع أشكاله فلنقف على تلك المواقف النبوية التعليمية المتعددة الموظفة للحواس والمترابطة باتساق عجيب لتُظهر لنا أنماط التعلم عند المتعلمين. تعامل الرسول ﷺ مع أنماط المتعلمين في تعلمهم باحترافية لم يسبق لها مثيل فنراه يتعامل مع قنوات الإدراك لدى البشر

بطريقة دمجية مثالية فنشاهده تارةً مستخدمًا لحاسة البصر والسمع وموظفًا لأسلوب التقريب والتشبيه وانتهاز الفرص والأحداث في حديث جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: " كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا " البخاري (4851). وتارةً أخرى نراه قد تحين الحدث وأعمل حاسة اللمس الحسي مصحوبة بحاسة السمع في قول البراء بن عازب، رضي الله عنه، قال: (أُهِدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلَّةٌ حَرِيرٍ فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمُسُونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا فَقَالَ أُنْعَجِبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ لَمَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا وَاللَّيْنُ) أخرجه مسلم (2468). وسلك ﷺ أبعد من ذلك حين وظف حاسة من الحواس يندر استخدامها في المواقف التعليمية ألا وهي حاسة الشم والذوق مصحوبة أيضا بحاسة السمع في قوله ﷺ: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْأَثْرَجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا). البخاري (5020). ونراه ﷺ موظفًا وسيلة تعبيرية عن الكلمات بأسلوب حركي منها الرسم وحركة الأصابع للتقريب والتشبيه كما في المواقف التالية: ففيما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مَرْبَعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صَغِيرًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: «هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُجِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصَّغِيرُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا". البخاري كتاب الرقاق (6418). وقال رسول الله ﷺ (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا" وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى، وَفَرَجَ بَيْنَهُمْ. أخرجه مسلم كتاب الرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (2983). وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرِ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذَا). الترمذي (2410). ويقول الصباغ في شأن الرسم "أما الرسم فإنه أسلوب تعليمي يجلو الأمر ويوضحه أتم توضيح، وإنه لمستوى رفيع في التوجيه والإبلاغ أن يكون الرسم أداة في قوم أميين".

نادت النظريات الحديثة بالاستفادة من الأحداث اليومية وربطها في العملية التعليمية تحت مسمى "ربط التعليم بالواقع الحياتي الملموس للمتعلم" وذلك لغرض أن يستشعر المتعلم النفعية مما يتعلم وأنه معالج لواقعه الذي يعيشه. هذه النفعية تسمى بغرضية التوجه مبدأ تؤكد عليه النظرية البنائية وهو توجيه المتعلمين للفائدة والمصلحة من المادة المطروحة. فإذا ربطت هذه المادة بواقعه الحياتي تهيأ للإقبال على موضوع التعلم. أيضًا الربط بالأحداث والحواس فيه تفعيل للعمليات العقلية مثل التخيل، المقارنة، الوصف، التخيل القياسي والمقاربة وكلها عمليات عقلية استقصائية لا غنى عنها في كل نشاط تعليمي. رسولنا العظيم ﷺ وظف قبل 14 قرنًا مبادئ تعليم القرن 21 فنراه لا يمر حدث دون أن يستغله ويستثمره في صالح تعليم أصحابه، وهذا من صفات الأسلوب النبوي كما سبق الإشارة إليه صفة الفورية والاستمرارية فاستثمر وربط رؤية القمر في الترغيب والتذكير بأهمية الصلاة. كذلك حقق مبدأ التعلم الجيد والذي يؤكد على أنه كلما زادت عدد الحواس المستخدمة في الموقف التعليمي -وهي قنوات الإدراك لدى المتعلم- كلما زادت فرص المتعلمين للفهم والاستيعاب. هذا وقد حقق الرسول مبدأ الارتباط الشرطي في استخدامه لحاسة الشم والذوق في قوله ﷺ "ريحها طيب وطعمها طيب" مما له الأثر في الاحتفاظ بالتعلم واستبقائه لفترة أطول وهو من المبادئ المهمة في عملية التعليم والتعلم (الزغول.2012).

التعليم بالقصة

قال بعض العلماء من السلف:

الفلاح، حيَّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، قال: ثم استأخَرَ عني غير بعيدٍ، ثم قال: وتقول إذا أقمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحتُ أتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرته بما رأيته، فقال: "إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلالٍ فآلق عليه ما رأيته فليؤدِّن به فإنه أندى صوتاً منك، ففممت مع بلالٍ، فجعلت ألقيه عليه، ويؤدِّن به قال: فسمِع ذلك عمرُ بنُ الخطاب، وهو في بيتيه، فخرج يجرُّ رداءه، ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيته مثل ما رأى فقال رسول الله ﷺ: الله. رواه أبو داود (499) فقد استخدم ﷺ هذه الطريقة لتعليم أهمية التعاون والعمل الجماعي ومسؤولية نقل العلم وتعليمه. كذلك حقق ﷺ ذلك خارج حدود المجتمع الضيق في إرسال الصحابة إلى الأمصار فأرسل خالد بن الوليد إلى نجران (الكاندهلوي، 1420) وأبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن (أبو زهره، 1425). كذلك في أمره لسعد بن العاص أن يعلم المسلمين القراءة (القطان، 1989). بل نراه يستغل الحدث ويوظف الفداء للنفس بما يعود بالفائدة على جماعة المسلمين وذلك في فداء أسرى بدر لأنفسهم الذين يحسنون الكتابة منهم أن يُعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين (بني يونس والسبهي، 1434). بل نشاهده ﷺ معاتباً للحابس للعلم المتخلي عن مسؤولية الجماعة ومتوعداً لهم بالعقوبة إذا لم يعدلوا عما هم فيه من التخلي في خطبته ﷺ ذات يوم فأتى على طوائف من المسلمين خيراً، ثم قال: "ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهاهم وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يعظون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهاهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتقنون أو لأعاجلنهم العقوبة". رواه الطبراني في الكبير

التعليم بالحوار والمناقشة

ليس أبين لأهمية هذه الطريقة من أن القرآن قد اشتمل على ٣٣٢ تكراراً للكلمة "قل"، و ٣٣٢ تكراراً لكلمة "وقالوا" وكلا الكلمتين لهما دلالة الحوار والنقاش. لقد أوتي الرسول ﷺ كما امتدح نفسه في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال بُعثتُ بجوامع الكلم، ونُصرتُ بالرُعب، وبيِّنا أنا نائمٌ رأيتهُ أُنبيئُ بمفاتيح خزائن الأرض فوضعتُ في يدي" البخاري كتاب الاعتصام (6883)، فقد كانت لغته من الفصاحة والقوة، وسلاسة البيان مع وضوح المعنى في إيجاز غير مخل. تفنن لنا رسولنا العظيم ﷺ في حواراته ومناقشاته مع أصحابه ومع غير المسلمين موظفاً جميع مهارات وضوابط الحوار من احترام الآخرين وآداب الاستماع والإلقاء وقوة الحجة والبرهان. وسلك الرسول العظيم ﷺ في هذه الطريقة أجمل السبل والأساليب منها أسلوب الحوار الاستفهامي، وأسلوب ضرب الأمثال وكذلك أسلوب التكرار وأسلوب النقاش الثنائي. وكل أسلوب سلكه الرسول ﷺ في حينه المناسب له والمكان المناسب والفئة المناسبة أيضاً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أندرون ما الغيبة؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (ذكرتك أحاك بما يكره) قيل: أرايت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) أخرجه مسلم (2589). حوار استفهامي جاءت الإجابة عليه موجزة في غاية الدقة والبيان، ويقابل هذا الحوار القصير الموجز ما جاء في حديث عمر رضي الله عنه من الإطالة في الحوار لمناسبة الموقف التعليمي لما فيه من بيان أصول الدين وقواعده وليناسب الأسلوب الحوار الثنائي بين الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام المتمثل على هيئة رجل يسأله ويستفتيه عن بعض المسائل الهامة فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بيئنا نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: «يا محمد أخبرني عن الإسلام»، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت

إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ»، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ»، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ»، قَالَ: «مَا الْمَسْئُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَتِهَا»، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْخَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عَمْرُؤُا أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» أخرجته مسلم (8). نلاحظ في هذا الموقف أن الرسول المعلم قد عرض لنا الموقف بطريقة تمثيل الأدوار التي قام بها كل من رسولنا العظيم وجبريل عليه السلام وما لهذه الطريقة من جذب الانتباه وتنمية التركيز ومهارات التفكير المتعددة. وفي مقام من مقاماته نجده ﷺ قد استهل النقاش بأسلوب استفهامي منفرّد حيث يستدعي هذا الاستفهام إلى أعمال الخيال من الصحابة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِنَابِ أَحَدِكُمْ يَعْنَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا". رواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب المشي إلى الصلاة تحمي الخطايا وترفع به الدرجات (1118)

التعليم بالتحقق من البناء المعرفي K.W.L

استفاد الرسول ﷺ من خبرات الصحابة في موضوع معين قبل أن يبدأ في تعليمهم إياه وذلك ليتعرف ﷺ على مدى صحة البناء المعرفي وقوته لديهم وهل بالإمكان من البناء على تلك الخبرات وتعزيزها أم إنه بناء يعتريه الهشاشة والنقص ولا بد له من عمليات تقويمه كتعديل أو تحسين أو تصحيح. والشواهد في ذلك من سنة المصطفى ﷺ كثيرة فيما رواه ابن عباس رضي الله عنه بينما رسول الله ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ في نفرٍ من أصحابه إذ رمي بنجمٍ فاستنار، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهليّة إذا رأيتموه؟ قالوا: كُنَّا نقول: يموتٌ عظيمٌ أو يولدٌ عظيمٌ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّهُ لَا يُرْمَى بِهِ لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ النَّسْبِيحُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ سَأَلَ أَهْلَ السَّمَاءِ السَّادِسَةَ أَهْلَ السَّمَاءِ السَّابِعَةَ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: فَيُخْبِرُونَهُمْ ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَتَخْتَطِفُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَيَرْمُونَ فَيَقْدِفُونَهُ إِلَى أَوْلِيَانِهِمْ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْرَفُونَهُ وَيَزِيدُونَ" أخرجته مسلم (2229)، فلنتأمل هنا كيف الرسول ﷺ قد استغل الحدث بفرية مذهلة وسألهم عن خبرتهم عنه وماذا كانوا يفسرونه، وبعد الإيضاح من قبلهم بين لهم التفسير الصائب لذلك الحدث فصوب خبراتهم الخاطئة وأحل مكانها الصحيح. وتعتبر هذه الطريقة من الطرق الحديثة التي نادى بها العلم الحديث والتي تسمى بـ(ماذا تعرف؟ ماذا تريد أن تعرف؟ ماذا عرفت؟) وتوظف لهذا الطريقة جدول الاستيعاب الذي يبين للمعلم خبرات المتعلم عن الموضوع المطروح قبل أن يبدأ المعلم بشرحه؛ ليقف المعلم على الخبرات السابقة للمتعلمين، ومعرفة الرصيد المعرفي لهم، ومدى سلامته من الأخطاء وما يعتريه من ضعف إن وجد.

التعليم بضرب الأمثال

أتى الرسول العظيم ﷺ بضرب الأمثال كوسيلة تعليمية لإزالة التجريد ولتقريب الأشياء التي يصعب فهمها لغموضها. وقد أتى بها الرسول ﷺ اقتداءً بخالقه الذي أدبه حيث قال ﷺ " أدبني ربي فأحسن تأديبي" ومرجع ذلك أن الله ضرب الأمثال في القرآن للناس لعلمهم يتفكرون، ويعقلون، ويبتكرون. وذكر أبو غدة (1417) أنه " قد تقرر عند علماء البلاغة أن ضرب الأمثال شأنًا عظيمًا، في إبراز خفيات المعاني ورفع أستار محجبات الرقائق". محمد المعلم ﷺ سبق التربويون والبلاغيون في هذا النوع من الطرائق فكان ﷺ حريصًا على توافر العوامل لضرب الأمثال كتحسين الوقت والظرف

والمثل المناسب الذي يوضح ويبرز المعنى ويجلي الحقائق من أمثلة ذلك ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "إنما مثلُ الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً مُنتنة" أخرجه البخاري، باب المسك رقم (5534). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيُعْلِبُهُنَّ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخَذُ بِحُجْرَتِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا) البخاري (6483) فنراه في الحديثين قد ضرب المثل بأسلوب سلس لتقريب المعنى بالأمر المحسوسة، ويظهر مدى دقة وبراعة معلمنا الأول ﷺ في اختياره للمثل وما تضمن من المعاني التي وضحت الصورة وجعلتها أكثر جلاءً.

التعليم حسب طريقة دراسة الحالة

حديث الرجل المسيء صلاته وهي من المواقف التي استخدمها الرسول ﷺ لدراسة حالة المتعلم في موقف يمر به ويتم دراسة حالته للحكم عليه سواء بالصواب أو عكسه مع توجيهه إلى الصواب، ومثال ذلك: حديث الرجل المسيء صلاته حيث قال له ﷺ: "ارجع فصل فإنك لم تصل" فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: "ارجع فصل فإنك لم تصل" ثلاثاً.. فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال: "إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً وافعل ذلك في صلاتك كلها" أخرجه البخاري (757) واستخدم ﷺ هذه الطريقة لتعليم التأدب مع الله في الصلاة وذلك بأدائها على وجهها الأكمل من الخشوع والطمأنينة.

التعليم بالعصف الذهني

وظف الرسول ﷺ طريقة طرح الأسئلة المفتوحة والتي من أهم وأسمى أهدافها هو استثارة العقل والحفز على إعماله واستخدام أقصى طاقته للوصول للحقائق ليكون هذا الإنسان أهلاً لحمل أمانة الله على الأرض. ففي ما رواه ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث شجر البوادي السابق الذكر ما يوضح ذلك حيث طرح الرسول سؤالاً مفتوحاً في قوله ﷺ (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم حدثوني ما هي؟.... الحديث ولنتأمل سؤال الرسول الذي يخاطب المهارات التفكيرية العليا، فالسؤال يطلب إجابة لشجر ذي أوصاف معينة وذلك لتضييق وتحصر المطلوب حصراً، فهو شجر من البوادي، لا تسقط أوراقه ويشبه الإنسان. ولنا أن نتصور ونتخيل العمليات العقلية التي قام بها العقل ليصل لنتيجة وإجابة للسؤال المطروح. فبدأ الصحابة في عمليات الحصر لشجر البوادي وعمليات المقارنة والفرز من بين تلك الشجر بما يتناسب مع الأوصاف المذكورة في الحديث. إن هذه الطريقة التي عالج بها الرسول ﷺ للإجابة على السؤال عُرفت في وقتنا الحالي القرن 21 بالعصف الذهني.

التعليم بالتنافس والتعزيز

علم الرسول ﷺ أصحابه بطريقة المنافسة والتعزيز الفوري لكل نوع من أنواع تلك المنافسات التي حث عليها. فشجع الرسول ﷺ أصحابه على التنافس ونوع المعلم العظيم ﷺ في أنماط المنافسة منها حفظ القرآن وطلب العلم والعمل. وبين المكافئة وحدد الجوائز للمتنافسين وهو أعظم جزاء ألا إنها الجنة وحق في ذلك قوله تعالى "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون" سورة المطففين 26 ولنا في هذا المقام أشمل مثال على تنوع المنافسات التي عرضها رسولنا العظيم ومدى حرص الصديق على الوصول للشرف العظيم والفوز في جميع أنواع المنافسات المطروحة من قبل معلمنا

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه مسلم (1028). ونجد من تنوع المكافآت ما نراه في هذا المشهد الجميل حين وضع الرسول ﷺ نفسه تعزيزاً ومكافئة في منافسة لممارسة الرياضة فعن عبدالله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيدالله وكثيراً من بني العباس ثم يقول: مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ فَيُقْبِلُهُمْ وَيَلْزِمُهُمْ (أحمد، 268/4).

التعليم بالتوبيخ

لم يتوان الرسول ﷺ في استخدام التوبيخ والعتاب والتأنيب كنوع من التعليم والتربية والذي نلاحظه ﷺ يوظفه ببنية المرابي العارف لأحوال المتعلمين فتارة يسلك أسلوب العتاب الصريح وتارة التوبيخ بالتلميح وتارة نراه يستخدم العتاب اللطيف وفي موقف أخرى العتاب الشديد القوي وكل تلك الأنواع وظفت حسب المقام والذنب وحال المذنب، ومن تلك الشواهد الكثير في السيرة النبوية منها ما كان بالتلميح كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حَدَّثَهُمْ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَيُنْتَهَنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَنُحْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ) أخرجه البخاري (750)

ومن العتاب اللطيف ما رواه عبدالله بن بسر رضي الله عنه بعثتني أُمِّي إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب، فأكلته، فقالت أُمِّي لرسول الله ﷺ: هل أتاك عبد الله بقطف؟ قال: " لا " فجعل رسول الله ﷺ إذا رآني قال: " غدر غدر " رواه الطبراني في الكبير. فعلمه النبي ﷺ عظم الأمانة وضرورة حفظها بالملاطفة والتحبب للطلاب، قليل من العتاب للإشارة للخطأ الذي وقع منه في عدم حفظه الأمانة. ومن عتابه الصريح ﷺ ما بدر من أبي ذر رضي الله عنه حيث قال: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَلِثْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: أَسَابَيْتَ فَلَأَنَا قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَقْبَلْتُ مِنْ أُمِّهِ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ قُلْتُ عَلَى حِينِ سَاعَتِي: هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيَطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يَكْلِفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيَعْنَهُ عَلَيْهِ. رواه البخاري (6050) فالرسول وبخ أبو ذر واستعظم أن يقع من مثله ذلك الأمر. ومن عتابه الصارم ما حدث به أبي مسعود الأنصاري، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَا أَكَادُ أَدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوَّلُ بِنَا فُلَانٍ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ فَقَالَ " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنْقَرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ " رواه البخاري في باب الغضب في الموعظة في التعليم إذا رأى ما يكره رقم (90). كذلك استخدم الرسول ﷺ التوبيخ بالفعل والقول معاً كما في حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى خَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَزَرَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَمَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ خَاتِمَكَ، انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. رواه مسلم، فالرسول ﷺ استخدم هذا النوع من التعليم مع أصحابه للتربية والتأديب وتعديل السلوك لعظيم منزلتهم عنده تحذيراً لهم عن معاودة مثل تلك الأفعال.

الخلاصة والتوصيات

مدرسة الهدي النبوي لا تنتهي فوائدها وكل ما تقدم يعتبر غيض من فيض فالهدي النبوي ثري بالمبادئ والمواقف التربوية التعليمية التي نادى بها النظريات الحديثة وتناولتها السيرة بشكل يثير الدهشة ويبعث على الإعجاب. وتأسيساً على ذلك ومن البحث في طرائق التعليم النبوية توصلت الباحثة من خلال معالجتها لأسئلة الدراسة إلى ما يلي:

إن الطرائق النبوية التي وظفها الرسول ﷺ جاءت من لدن حكيم عليم فهو " لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " فهي طرائق من خالق البشر الأعم بخلقه وبما يُصلح أحوالهم ويتناسب وفطرتهم البشرية المختلفة.

امتازت الطرائق النبوية بالتنوع والشمول والمرونة تكاملت لتنتج لنا منهجاً تربوياً إسلامياً يتعامل مع النفس البشرية بكل ما يعتريها من إقبال وإدبار وما فيها من نشاطٍ وفتور، طبقه معلمنا العظيم بتلونٍ فنيٍّ خلابٍ في تربيته لأصحابه. فالمدرسة المحمدية هي المدرسة الأكمل والأشمل والأكثر استيعاباً للطرائق الحديثة وبذلك يكون الرسول ﷺ له السبق في إرساء قواعد ومبادئ طرائق القرن الحادي والعشرين من حيث المضمون والتطبيق كالطرائق الواردة في هذه الدراسة. إن المنهجية النبوية في توظيف الطرائق التعليمية لها خاصية الدمج والتداخل والتكامل بما يتناسب مع الموقف التعليمي الواحد في بعض الأحيان كالطريقة الحوارية التي صاغها الرسول تارة بالسؤال وأخرى بالقصة المتضمنة الترغيب والترهيب وتارة بتمثيل الأدوار كما في حديث جبريل. هذا وتوصي الباحثة أن مزيداً من البحث والتفقيب في الهدى النبوي الشريف سيؤدي إلى فتح آفاق جديدة ومزيد من المعرفة لتكون موسوعة لطرائق تربوية عظيمة تتناسب مع الأجيال القادمة فهي نبغ فياض وهدى لا ينتهي ولا يفنى وسار إلى قيام الساعة.

المراجع

- ابن قيم، محمد بن أبي بكر. (1971). تحفة المودود بإحكام المولود. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط. دمشق: مكتبة دار البيان
- أبو دف، محمود خليل. (2007). مقدمة في التربية الإسلامية. غزة: مكتبة آفاق.
- أبو غدة، عبد الفتاح. (1417). الرسول المعلم وأساليبه في التعليم. بيروت: دار البشائر. ط: 2.
- أبوزهره، محمد. (1425). خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم. القاهرة: دار الفكر العربي
- بني يونس، عبدالله. السبهاني، عبدالجبار. (2013). البنى الارتكازية وتمويلها في الاقتصاد الإسلامي. رسالة دكتوراة. جامعة اليرموك. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. الأردن.
- البيهقي، الحافظ أبي بكر. (458). دلائل النبوة. بيروت. لبنان. دار الكتب العلمية. ط: 1 1405
- حسين، محمد. (2018). الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم: دراسة تحليلية.
- حسين، محمد. (2018). الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم: دراسة تحليلية. مجلة القسم العربي. جامعة بنجاب. لاهور. باكستان. العدد 25.
- الخادمي، محمد. (1971). البريقة المحمدية في شرح الطريقة المحمدية لمحمد بن بر علي. بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.
- دبابش، منال. (2008). منهج الرسول صل الله عليه وسلم في التربية من خلال السيرة النبوية. رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية. غزة. كلية التربية.
- الدحيم، إبراهيم. (2005). أساليب نبوية في التربية والتعليم. مجلة البيان. العدد 209: 32-39
- ذوقان، عبيدات. السميد، سهيلة. (2017). استراتيجيات التدريس في القرن الحادي والعشرين: دليل المعلم والمشرف التربوي ودليل التربية العملية للطلاب – والمعلمين. عمان: دار الفكر تشرون وموزعون.
- الزبون، عقلة. (2007). الحوار التربوي في السنة النبوية ودلالاته التربوية، مقال صادر عن جامعة البلقاء التطبيقية. كلية عجلون الجامعية.
- الزعيبي، أحمد. (2007) علم نفس الفروق الفردية وتطبيقاته التربوية. ط: 1
- الزغلول، عماد. (2012) مبادئ علم النفس التربوي: دار الكتاب الجامعي العين. الطبعة 2
- زقول، سهاد. (2015). واقع استخدام استراتيجيات لعب الأدوار والسرد القصصي في تنمية مفاهيم حقوق الإنسان لدى طلبة المرحلة الأساسية. جامعة الأزهر. كلية التربية. غزة.
- السويد. سليمان. (2016). تنوع أساليب عرض الفكرة في حديث طول الأمل.
- [/https://www.alukah.net/sharia/0/97749](https://www.alukah.net/sharia/0/97749)
- الصباغ، محمد لطفي. (2011). نظرات في الأسرة المسلمة : جمهية الكتاب والسنة. ط: 3.

- الصعدي، فواز. (2009). الأساليب النبوية المتعبة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها لدى طلاب المرحلة الثانوية بنين تصور مقترح. بحث مكمّل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة. جامعة أمّ القري. كلية التربية.
- الضمران، صالح. (2006). منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الناشئة. دراسة من موقع www.moeforum.netLv. وزارة التربية والتعليم السعودية.
- العدوان، زيد. داود، أحمد. (2016). النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها في التدريس. عمان. الأردن: مركز ديونو لتعليم التفكير.
- عشا، انتصار. أبو عواد، فريال. الشلبي، إلهام. عبد، إيمان. (2012). أثر استراتيجيات التعلم النشط في تنمية الفاعلية الذاتية والتحصيل الأكاديمي لدى طلبة كلية العلوم التربوية التابعة لوكالة الغوث الدولية. مجلة جامعة دمشق. المجلد 28. العدد 1.
- العطار، نايف. (2007). طرائق النبي صل الله عليه وسلم التعليمية ومميزاتها وأهميتها وعلاقة الطرائق المعاصرة بها. مجلة جامعة الأقصى. المجلد 11. العدد 2
- الغزالي، أبو حامد محمد. إحياء علوم الدين. جده: دار المناهج. ط: 1 (1432 ج 1، [ص: 94] غزاوي، فيصل. (1431). المحاكاة في قراءة القرآن. مجلة جامعة أمّ القري الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد 49
- فارس، حسان. (2007). تربية الرسول صل الله عليه وسلم للناس. مجلة حسن التربية تصدر عن شبكة المعرفة الريفية. الدار البيضاء.
- الفراء، اسماعيل. (2007). التعلم عن بعد والتعليم المفتوح الجذور والمفاهيم والمبررات. جامعة القدس المفتوحة. المجلة الفلسطينية للتربية المفتوحة عن بعد. المجلد 1. العدد 1
- القبلي، عناية. (2014). التعزيز في الفكر التربوي. تبوك: شركة أمان للنشر والتوزيع. ط: 1
- القطان، مناع. (2009). تاريخ التشريع الإسلامي تاريخاً ومنهجاً. القاهرة: مكتبة وهبة
- الكاندلوي، محمد. (1420). حياة الصحابة. بيروت. لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر. ط: 1.
- المباركفوري، صفي الرحمن. (1999). الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية. جمهورية مصر العربية: دار الوفاء للطباعة والنشر. ط/ 25.
- الموسوي، نجم. (2015). النظرية البنائية واستراتيجيات ما وراء المعرفة: استراتيجيات الجدول الذاتي KWL. عمان. الأردن: دار الرضوان للنشر والتوزيع.
- الوكيل، حلمي. المفتي، محمد. (2016). أسس بناء المناهج وتنظيماتها: دار المسيرة للطباعة والنشر. ط: 9.
- يالحن، مقداد. (1402). توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي. الرياض: دار المريخ. ط: 1.

المراجع الأجنبية

- Bloodcurdling movies and measures of coagulation: Fear Factor crossover trial, <http://www.bmj.com/content/351/bmj.h6367>
- Donaldson, G.& Sanderson, D. (1996): Working Together in Schools, A guide for Education CA, Corwin Press, Inc.